من تراب الطريق! (١٦٧) صيرورة لا تتوقف ! (*)

منذ خصصت الدول العظمى فالكبرى، ميزانيات هائلة لارتياد الفضاء، والاعتراضات تتزايد أن ينفق الأغنياء هذه الأموال الباهظة بينما يعانى أكثرية أهل الأرض من الفقر المدقع ! أليس فقراء أمريكا أو روسيا أو غيرهما، أولى بهذه النفقات ؟! .. وهل فرغنا من أسرار الأرض وما فيها وفى باطنها، حتى نستكشف أسرار السماء ؟!

هذه الاعتراضات التى أثيرت من نحو أربعين عاما، أخذت تتآكل تدريجيا مع كل كشف فى الفضاء استبان أنه يفتح أو فتح بالفعل أو يمكن أن يفتح فى المستقبل - خيرات كثيرة ومنافع جمّة لأهل الأرض !

الإخلاد إلى الإلف وشرنقة الاعتياد، كان على الدوام العائق الأساسى للبشرية فى قبول الجديد أو الإطلال عليه . كانت هذه الشرنقة وراء مقاومة دعوات جميع الرسل و الأنبياء، وكانت هى هى مرجع التحفظ على أى جديد فى مجال الاختراع أو الابتكار أو التطور، وكانت هى هى مرد الاعتراضات التى أثيرت على ارتياد الفضاء ونفقاته الباهظة !

لم يكن بوسع الحاضر وهو يخلد إلى شرنقة الاعتياد، أن يرى ناهيك بأن يتقبل ما ارتآه وقتها مجازفات أو مغامرات ارتياد الفضاء وبلا عائد وجدوى ! .. لم يكن بوسع هذه " الشرنقة " أن تتصور مع بدايات محاولات ارتياد الفضاء، ما أسفر عنه بالفعل هذا الارتياد من امتلاء الفضاء الكونى بالأقمار الصناعية ومواكيك وسفن الفضاء، وما أتاحته هذه المنظومة من

(*) المال ٢٠٠٨/١١/٢٤

إمكانيات ومنافع هائلة فى الاتصالات والبث الكونى على الموجات المرئية والمسموعة، وتواصل العالم بكل ذلك ونواتجه حتى صار كالقرية يعيش من فى أفريقيا لحظة بلحظة مع من فى أمريكا أو أستراليا والعكس .. صار القمر الصناعى الواحد يغنى عن مئات المحطات التليفزيونية والإذاعية ويغطى ببثه قارات العالم، وأتاحت هذه الأقمار الصناعية للبشرية دنيا فسيحة من تطبيقات شتى فى التصوير المساحى، وفى الإرشاد الآمن للسفن والطائرات، وفى التنبؤات بأحوال الطقس وغيرها ..

فتحت سفن الفضاء أنظار علماء الأرض على مكنونات كانت مجهولة فى الكون الفسيح الذى لازلنا لا نعرف عنه إلاّ قليل القليل .. عندما أطلقت المحطات المدارية والتلسكوبات الفضائية عرفنا مالم نكن نعرفه عددا وحجما من أجرام كونية كان منها المجهول لنا تمامًا أو المعلوم علما ناقصا أو مشوشا .. وعرفنا من أمر النجوم والمجرات والمدارات أكثر كثيرا مما كنا نتصوره، ولا نزال نجهل معظمه !

استدعت كشوف الفضاء، ولا تزال تستدعى كل يوم، حكمة قديمة .. هى أن الحقيقة بنت البحث والاجتهاد، وأن القعود عن الحلم يصادر على حقائق الغد .. أليست حقائق اليوم نبت أحلام كانت محض رؤى بأمس .. فماذا إذا توقفنا عن الحلم وأخلدنا للموجود وتهنا عن الوجود ؟!

الحياة كلها، وهذه حكمة الخالق، فى صيرورة دائمة، لا تتوقف قط .. الواقف فى هذه الصيرورة على نظام " محلك سر " - يتخلف عن ركب الحياة، ويحاصره الجمود والبلادة . بلا يقظة، يفقد الإنسان قدرته على الرؤية وعلى الحلم .. القدرة على الحلم دليل حياة، وخاصية مانحة . إلى الحلم وما يشعله من خواطر ويحركه من سواكن، تعود الإنجازات أو الطفرات أو النجاحات فى حياة البشر !